

في
التنوير الإسلامي

((٣٥))

هذه المسألة ذات صلة وأهمية

عامة

تأليف
د / محمد عمارة



مكتبة
الكتاب والسنة
الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ

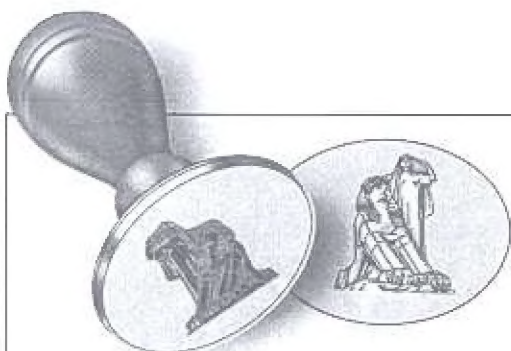
هَذَا الْمُسْلِمُونَ زَامَةٌ وَاحِدَةٌ

تأليف

د. محمد عثمان



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٦٨



هل المسلمون أمة واحدة.

تأليف د/محمد عمارة

يؤتيه ١٩٩٩ م

٥٩١١ / ١٩٩٩ م .

I . S . B , N 977 - 14 - 0946 - 8

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت: ٢٣٠٢٨٧ / ١١ . (١٠ خطوط)

فاكس: ٢٣٠٢٩٦ / ١١ .

١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢ .

فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ / ٢ . ص.ب: ٩٦ الفجالة .

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢ .

فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٢ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .

اسم الكتاب

اسم المؤلف

تاريخ النشر

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

مَفْهُومُ الْأُمَّةِ فِي لُغَتِنَا الْقَوْمِيَّةِ

كثير من المعاجم والقواميس التي عرضت وتعرض بالتعريف لمصطلح «الأمة» - وخاصة تلك التي تأثرت بالصاميين الغربية لهذا المصطلح - تميّز تعريفها لهذا المصطلح بالضبط والتحديد ، على تفاوت في السمات والقسمات والشروط التي وضعتها ونصعها هذه المعاجم والقواميس للجماعة البشرية الجديدة بأن تكون «أمة» متميزة عن غيرها من الأمم الأخرى ..

ففي الموسوعات والمعاجم ذات التوجه الفكري المادى ، تنصدر العوامل المادية الشروط والسمات التي تؤهل الجماعة البشرية لتكوين «أمة» ، حتى لتعتبر «السوق» والحياة الاقتصادية المشتركة هي البوتقة التي تنصهر فيها الأمة ، والرحم التي تولد منها ، مع ما يلزم لهذه السوق من أرض مشتركة ، تنمو عليها لغة مشتركة ، تثمر - في الميدان الفكري والثقافي - تكويناً نفسياً مشتركاً يربط بين هذه الأمة بروابط المشاعر والمثل والمزاج والقيم والذكريات والموارث والآلام والأمال (١) ..

وبعض هذه القواميس يذهب في التحديد والضبط لشروط

(١) (الموسوعة الفلسفية) وضع لجنة من الأكاديميين السوفياتيين ، بإشراف : م . روزنثال ،

ب . يودين . ترجمة : سمير كرم . طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م .

«الأمة» وسماتها بعيداً إلى حد الخلط بين «الأمة» و«الدولة»،
فيرى «الأمة»: جماعة سياسية مستقلة ذات إقليم محدد، يشترك
أعضاؤها فى الولاء لمؤسسة واحدة، مما يؤدي إلى إحساسهم
بالوحدة وبأنهم يكونون مجتمعاً. ولا يلزم لقيام الأمة أن تكون
ذات أصل مشترك، أو لغة واحدة، أو دين أو عنصر واحد، وإن
كانت الأمم تتكون عادة اعتماداً على التاريخ المشترك ووجود عناصر
ثقافية متشابهة^(٢)

وينحو نحو هذا النهج ذلك التعريف الذى يرى «الأمة»: جملة
الأفراد الذين يكونون وحدة سياسية، وتجمع بينهم وحدة الوطن
والتراث والمشاعر من آلام وآمال^(٣)

وهذا الخلط بين «الأمة» و«الدولة» هو ثمرة من ثمار التأثير
الغربى فى مادة ومضمون هذه المعاجم والقواميس «العربية»، وهو -
أيضاً - خادماً للأهداف الغربية من وراء إشاعة هذه المضامين فى
هذه التعريفات . . .

فالحضارة الغربية قد صاغت «للأمة» أمثال هذه التعريفات،
التي خلطت بينها وبين الدولة: لأن أم هذه الحضارة قد امتلكت
كل منها - تقريباً - دولتها الحرة المستقلة - وبعض دول هذه
الحضارة وإن ضمت أمماً متعددة، فليس فى إطارها أم فتتها القهر

(٢) (قاموس علم الاجتماع) - تحرير ومراجعة - د. عاطف غيث. طبعة القاهرة
سنة ١٩٧٩ م.

(٣) (المعجم الفلسفى) وضع: مجمع اللغة العربية - القاهرة - سنة ١٩٧٩ م.

الاستعماري فحرمها من امتلاك «الدولة» الواحدة للأمة الواحدة... فالتطابق الواقعي قائم في إطارها بين الأمة والدولة.

وشبوع هذا المفهوم - الذي يطابق بين «الأمة» و «الدولة» - في قواميس الأمم التي مزقها القهر الاستعماري الغربي ، أو المصالح الإقليمية الضيقة لبعض العشائر والفئات والطبقات ، يسهم ولا شك في تشكيل هذه الأمم بوحدها ، فيفقددها الاتجاه الموحد نحو استكمال وحدتها كأمة ، ونحو إقامة الدولة الواحدة التي ترسخ وحدة الأمة وتنمى سماتها وقسماتها ... وهنا تنهض المفاهيم الغربية - عندما توظف خارج إطارها وتزرع في غير أرضها - بدورها في مؤازرة غيرها من أدوات القهر والاستلاب التي صنعها ويصطنعها الاستعمار ! ..

ومن هذه المعاجم والقواميس من برئ من أفة الخلط بين «الأمة» و «الدولة» ، مع تميزه بخصائص التعريفات المنطقية الحديثة ، التي تحاول استقصاء السمات والشروط والحدود ، كي يكون التعريف أقرب ما يكون إلى «الجامع المانع» ، فيعرف «الأمة» - قانونًا - بأنها «جماعة من الناس تجمعهم عناصر مشتركة ، كوحدة الأصل واللغة والعقيدة والتراث الفكري ، مما يجعلهم وحدة حضارية واحدة ، ويخلق عندهم شعورًا بالانتماء إلى تلك الوحدة وتعلقًا بها . والأمة حقيقة اجتماعية وحضارية خلافاً للدولة التي تعتبر وحدة سياسية وقانونية . ويلاحظ أن الأمة الواحدة قد تكون

موزعة بين عدة دول ، كما كان الشأن بالنسبة للأمة العربية ، كما أن الدولة قد تضم عناصر من أم مختلفة ، كما كان الشأن بالنسبة للإمبراطورية العثمانية قديماً وسويسرا حديثاً .» (٤)

تلك هي أبرز المناهج في تعريف «الأمة» بالمعاجم والقواميس والموسوعات الحديثة ، جمعت بينها - رغم التمايز - خاصية الضبط والتحديد واستقصاء الشروط والقسمات التي لا بد منها كي نطلق على جماعة بشرية ما مصطلح «الأمة» ... ولقد تعمدنا الإشارة إلى هذه الخاصية الحديثة في تعريف الأمة ، ليظهر افتراقها مع النهج العربي الإسلامي في تعريف «الأمة» ، ذلك النهج الذي ابتعد عن الضبط والتحديد ، ووقف في هذا التعريف عند حدود «الجماعة» فاعتبر الجماعة - أية جماعة - التي يربطها رابط ويجمعها جامع - أيّاً كان الرابط والجامع - «أمة» متميزة عن غيرها من الأمم ... ذلك أن وراء هذا النهج العربي الإسلامي دلالات فكرية تنم عن خصوصيات حضارية للأمة العربية الإسلامية جديرة بالبلورة والتحديد عندما تبحث عن المفهوم المتميز لمصطلح «الأمة» في حضارتنا العربية الإسلامية .



(٤) (المعجم الكبير) وضع : مجمع اللغة العربية - القاهرة - سنة ١٩٧٠ م .

مفهوم «الأمة» فى أصول العربية

يقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ ١١٠٨م) فى (المفردات فى غريب القرآن) عن تعريف «الأمة»: إنها «كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء أكان ذلك تسخيراً أم اختياراً. وجمعها: أم»^(٥). . . . إنها الجماعة يجمعها أمر ما فيميزها، سواء أكان هذا الجامع طبيعياً وخلقة وتسخيراً، كما هو فى الخلق الإلهى لجماعات - أم - الحيوان غير المختارة، وفى الجوامع الطبيعية التى تجمع الجماعات - الأمم - الإنسانية . . . أو كانت جوامع مختارة وضعية، كاللغة، مثلاً . . .

وإذا كان العرب والمسلمون القدماء قد اجتمعوا على هذا التعريف للأمة، فإنهم قد اجتهدوا فى تحديد العدد الأدنى للجماعة التى تستحق وصف «الأمة» إذا جمعها جامع وربط بينها رابط . . . ففى أحد الأحاديث النبوية ما يشير إلى أن هذا العدد أقله مائة - «ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين، يبلغون أن يكونوا مائة، يشفعون إلا شفعوا فيه»^(٦) . . . ومن القدماء من اجتهد فوقف بهذا العدد عند الأربعين . . . فواحد من سبع إحدى

(٥) (دائرة المعارف الإسلامية) الطبعة العربية - الثانية - دار الشعب - القاهرة - مادة «أمة» من تعليق الأستاذ أحمد محمد شاكر - ونص الراغب الأصفهاني فى (المفردات) ص ٢١ - .

(٦) رواه النسائي، عن عائشة أم المؤمنين .

روايات الحديث المشار إليه ، سأل أحد رواة - أبو المليح - عن الأمة ؟ «فقال : أربعون . . .»^(٧) . . . وهي تحديدات فرضها الموقف ، واجتهادات لا إلزام فيها .

ولقد استقر ، واستمر هذا المضمون لمصطلح «الأمة» في تراثنا اللغوي ، وعبر معاجمنا العربية^(٨) ، وكتب التعريفات وكشافات مصطلحات العلوم والفنون^(٩) . . . ونهج ذات النهج أحدث هذه المعاجم - (المعجم الكبير) - عندما استند إلى القرآن والسنة والشعر العربي - وهي ديوان العربية - فكشف عن أصالة هذا المضمون لهذا المصطلح . . . فالأمة هي الجماعة ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . . . وهي الجماعة والجنس من كل حي ، ولو لم يكن بشراً ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام : ٣٨] . . . وهي الجماعة من الناس يربطها رباط «الجيل والقرن» ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد : ٣٠] . . . وهي أمة - أى جماعة - كل نبي ، الذين أرسل إليهم ، الذين آمنوا منهم ، والذين ظلوا على كفرهم . . . فهم جميعاً «أمة الدعوة» ، يجمعها جامع الدعوة ورباطها . . . والذين آمنوا منهم هم «أمة الإجابة» ، يجمعهم جامع الإيمان ورباط الإجابة . . . ثم

(٧) رواه النسائي ، عن ميمونة أم المؤمنين .

(٨) (لسان العرب) لابن منظور - مادة : أمة - طبعة دار المعارف - القاهرة .

(٩) التهانوي (كشف اصطلاحات الفنون) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

هى : الفرد إذا قام - بامتيازته وتمييزه - مقام الجماعة .. كالرجل الذى لا نظيره .. والمعلم الجامع للخير ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٠] .. والمتفرد بدين الحق رغم طوفان الوثنية والضلال «يُبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل أمة على حدة»^(١٠) .. كما يطلق المصطلح على «الدين والملة» ، كجامع يجمع الجماعة فيجعلها أمة ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .. وعلى السنة والطريقة - بهذا المعنى - .. وكذلك على «الحين والزمان» ، كرابط جامع ﴿ وَلَنْ أَخْرِنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ [هود : ٨] .. وأخيرًا على «الملك» كرابط سياسى يجمع الرعية برباط الدولة .. وعلى هذا الدرب سار (معجم ألفاظ القرآن الكريم) ، بعد ما نظر فى المواضع التى ورد فيها مصطلح «الأمة» بآيات القرآن ، فقال عن الأمة : إنها «كل جماعة يجمعهم أمر ما ، وجمعها : أمم . والأمة : الدين .. والحين» .. ذلك لأن أربعًا وأربعين موضعًا من مواضع ورود هذا المصطلح بالقرآن قد جاء معناه فيها : «الجماعة من الناس» .. بينما جاء فى موضعين بمعنى «الحين» .. وفى

(١٠) حديث مروي عن الرسول ﷺ .

موضوعين بمعنى «الدين» .. ومعنى «القدوة وَمَعْلَمُ الْخَيْرِ» في موضع واحد .. فموسى عندما ورد ماء مدين ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص: ٢٣] .. فهم جماعة جامعها طلب السقاية .. ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] .. جامعها إسلام الوجه لله .. ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .. جامعها التواصي بالحق والصبر على مكاره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .. الجامع في كل منها النظام والاشتراك في نمط الخلقة وطرائق العيش ... إلخ ... إلخ ... إلخ ..

ولقد كانت السنة النبوية الردف الذي سار على نهج القرآن في استخدام هذا المصطلح - «الأمة» - قاصداً به ذات القصد وواضعا فيه ذات المضمون .. «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»^(١١) .. وجامعها رباط الإجابة للدعوة .. و«صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية»^(١٢) .. فالعصيان لم يخرج أهله من جامع الأمة .. و«لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر

(١١) رواه ابن ماجة .

(١٢) رواه الترمذی .

الله لا يضرها من خالفها» (١٣) .. فكونها حزباً متميزاً لم يخرجها
عن جماعة الأمة .. و «النمل أمة من الأمم» (١٤) .. و «لولا أن
الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها» (١٥) .. فهي جماعة ، أى
أمة .. إلخ .. إلخ .. إلخ ..

فهى - إذن - الجماعة .. أية جماعة يربطها أى رباط جامع
هى «أمة» دوئماً ضبط أو تحديد لروابط يعينها ، أو لعدد محدد من
هذه الروابط الجامعة .. ذلك هو المضمون الذى اجتمعت عليه
أصول العربية ، وساد فى حضارتنا الإسلامية ..

فهل لهذه «المرونة» التى رفضت التحديد والتقييد ، التى
تركت الباب مفتوحاً للروابط المضافة إلى الجماعة ، وكذلك حدود
الجماعة ذاتها .. هل لهذا النهج المتميز وهذه الخصوصية العربية
الإسلامية دلالة حضارية فى ميدان التمايز الحضارى
والخصوصيات القومية يمكن رصدها عندما تكون المقارنة بين الأمم
والحضارات ؟ .. وهل فى ذلك ما يلقى ضوءاً على أمر ذى بال
فى مفهوم «الأمة» بحضارتنا العربية الإسلامية ؟؟ ..
لنتظر

* * *

(١٣) رواه ابن ماجه

(١٤) رواه مسلم

(١٥) رواه أبو داود والترمذى والسنائى وابن ماجه والدارمى والإمام أحمد

مَفْهُومُ الْأُمَّةِ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

في الحضارة الغربية ، شاع وساد مصطلح «الأمة» في المرحلة التاريخية التي تبلورت فيها قوميات تلك الحضارة ، عندما نشأت على أنقاض الرابطة اللاهوتية المسيحية الجامعة .. فكان الاستقلال ، وكان الانسلاخ هو طابع المرحلة .. ثم كان الصراع الذي تولد من تناقضات المصالح الرأسمالية عاملاً هاماً في تأجيج العصبية القومية بين أمم وشعوب تلك الحضارة ، فكان البحث - في إطار الفكر القومي الغربي - عن الفواصل وعوامل التمايز بين الأمم والقوميات سمة بارزة من سمات ذلك الفكر في ذلك التاريخ ، فرأينا - لذلك - الضغط والتحديد للسمات والشروط الجامعة المانعة في تعريف الأمة ، إذكاء لروح التميز والخصوصية القومية ، وإبرازاً «اللمغايرة» وشحناً للوجدان القومي ، كي يدفع كل أمة من أمم تلك الحضارة إلى الصراع والغلبة في حلبة التنافس - السلمي والنسلح - على المصالح والثروات والأقاليم ، داخل أوروبا أولاً ، وخارجها بعد ذلك ، إن في العالم القديم أو الجديد .. طلباً لمصادر الغنى والثراء ، وبحثاً عن الأيدي العاملة الرخيصة ، وتحقيقاً للهيمنة الحضارية والاحتواء الاستعماري ..

تلك كانت ملايسات الصياغة والتحديد لمضمون مصطلح «الأمة» في الحضارة الغربية

ولما كانت ملابسات صياغة مضمون هذا المصطلح في حضارتنا العربية الإسلامية مغايرة تمام المغايرة لتلك الملابسات الغربية ، بل وعلى النقيض منها . . . فلقد تميز عندنا هذا المفهوم والمضمون . . .

فالتصور العربي الإسلامي لحضارتنا ، الذي تبلور على أرض أمتنا بعد الاسلام ، والذي تعيشه هذه الأمة ، كامتداد متطور لتوارثها الحضارية والفكرية التي سبقت ظهور الإسلام . . . هذا التصور العربي الإسلامي لم يكن طور انسلاخ عن رباط أشمل ، ولا استقلاقاً عن كيان أكبر ، ولا بحثاً عن العوامل المميزة والفواصل واخواجه . . . وإنما كان على العكس من ذلك . طور جمع وتأليف للفكر الحى المتوقد الذى جاء به الإسلام مع الموارث الفكرية والحضارية التى وجدها العرب المسلمون فى البلاد التى دخلت فى عالم الإسلام . . . وللجماعة العربية المسلمة التى انطلقت من شبه الجزيرة مع الشعوب التى توحدت فى إطار الدولة العربية الإسلامية الجامعة . . . فلم يكن هم هذه الحضارة - ومن ثم لغتها - البحث عن ما يميز ويحدد ويفصل ، طلباً للاستقلال القومى ، وإنما كان همها هو البحث عن عوامل التأليف لأمة أكبر وجماعة أشمل وحضارة أوسع . . . ولذلك وقفت هذه الحضارة - ولغتها - بمضمون ومفهوم «الأمة» عند مضمون الرباط الجامع للجماعة ، أيًا كان هذا الرباط ، وذلك حتى يظل الباب مفتوحاً للتأليف والاستيعاب ، وحتى تمتد مساحة تأثير «النواة الإسلامية» فتشمل دائرة حضارتها كل الجماعات التى تدخل دائرة حضارة الإسلام حتى ولو لم تدخل فى دين الإسلام . . . ولقد دعم من

هذا التوجه : عالمية الرسالة الإسلامية ، وأهمية العقيدة في الدين الإسلامي . . وأيضاً كونها الرسالة الخاتمة ، التي جاءت لتستوعب ميراث الماضي - بالإحياء والتجديد - ولتصوغ منه - بمعايير الإسلام - حضارة مستقبلية ، ذات نزوع عالمي ، لا تنكر التمايزات بين الجماعات البشرية ، ولا تحاربها ، ولكنها تهذب شدوفاها ، لتوظف التعددية القومية في بلورة وإنماء وتطوير حضارة ذات نزوع عالمي . . . لهذا كان وقوف هذه الأمة عند الحد الأدنى من الروابط في مفهوم الأمة ومضمونها ، طلباً للحركة ، ونزوعاً للامتداد ، وتوجهاً للتأليف ، ورفضاً لعصبية الانغلاق وتعصب الاستعلاء على غيرها من الجماعات والأمم والحضارات . . . لقد كان توجهها للامتداد ، واتفاقها على أن «تَحَقُّقُهَا» إنما هو مهمة دائمة ومستمرة ، لا بالنسخ والنسخ للموارث والقسمات الحضارية الأخرى - كما حاولت وتحاول الحضارة الغربية مع غيرها من الحضارات - وإنما بالإحياء والتجديد والاستيعاب لما هو قابل وصالح للإحياء والتجديد من الموارث الفكرية والحضارية . .

إنه منطلق متميز . . وتوجه متميز ، أثمر هذا التمييز لمفهوم الأمة في حضارتنا العربية الإسلامية عنه في غيرها . . وعنه في الحضارة الغربية على وجه الخصوص . .

● ففي قريش ، بمكة ، نزل الوحي على محمد بن عبد الله ﷺ برسالة الإسلام . . فكانت «للتوحيد الديني» الإسلامي - الذي بلغ الذروة في التنزيه والتجريد - آثاره العظيمة في توحيد هوية الجماعة العربية ، التي كانت الوثنية المتعددة تجسد وترمز إلى

تشرذمها وتمزقها القبلى فى الجاهلية . . . وذلك دون أن تعنى هذه «الجامعة العربية القومية» سيادة قریش ، ولا تجاهل التمايزات القبلية أو التقفز على واقعها . . . وإنما كانت هذه الظاهرة التوحيدية الوليدة «تأليفاً» للقبائل المتميزة ، ووحدة لا تنكر التعددية . . . حتى لقد عدت من معجزات الإسلام التى تحققت فى الواقع الإسلامى الجديد ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣] . . .

ولم يقف هذا الوليد الحضارى بنطاق الأمة ومفهومها عند حدود «القبائل العربية» ، فلقد كانت مرحلة تجاوزهما التأثير التوحيدي ، الذى بدأ من قریش - مستعيناً بها على إنجاز أكبر هـى دائرة أوسع - هـى دائرة وحدة «القبائل» و «الشعوب» . . . فكما أنجز الإسلام وحدة القبائل ، دوغاً إنكار لـتمايزها ، توجه إلى إنجاز وحدة «القبائل» و «الشعوب» ، بـمـعيار وفى إطار «التعارف» ، الذى لا يلغى التمايز ، ولا يقفز على الخصوصيات ، وإن أتاح الفرص وخلق الأطر للتفاعل والتوحيد . . . فمع التعددية تكون وحدة الأمة الطامحة إلى الامتداد الطوعى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] . . . فالاتجاه إلى الأمة العالمية ، لا ينكر أن التعددية هـى سنة من سنن الله فى الكون

والخلق . . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ | الروم : ٢٤ |

انها أمة «دائمة التَّحَقُّق» . . بل إن ديمومة هذا التَّحَقُّق - عمقاً
واتساعاً - هي معيار حيويتها ونهوضها برسالتها العالمية والخالدة
التي أرادها الله ! . .

ولذلك ، فلقد وازنت هذه الأمة ، وهي تحقق امتدادها وتبلور
حضراتها بين «الخاص» و «العام» . . فكما أُنجزت «وحدة»
القبائل ، دون إلغاء للقبيلة ، وإنما بجعلها لبنة في بناء الأمة الجديد
- بعد أن كانت كياناً مستقلاً ومستعصياً على الترويض - . .
وجدناها تقيم بواسطة «التعارف» - الذي هو التفاعل الطوعي -
رباطاً جامعاً بين «القبائل» و «الشعوب» ، حتى لقد احتضن
محيطها الجامع «الجزر القومية» ، فجمعها جميعاً بخيوط الحضارة
الإسلامية ، دون أن ينكر عليها التمايز القومي المبرأ من العصبية
العرقية وضيق الأفق الجنسي . . فعرف مفهوم الأمة ، في فكرنا
الحضاري ، وفي تجربتنا التاريخية وميراثنا الاجتماعي الدوائر التي
تبدأ من «الفرد» إلى «الأسرة» - أو القبيلة والعشيرة - إلى
«الشعب» ، إلى «الأمة» - بالمعنى القومي - إلى «الجامعة
الإسلامية» . . . مع السعي الحثيث إلى تعميق الرباط الجامع . .
والى مد نطاقه إلى أفق جديد . . بل لقد مدت الدائرة الإسلامية
مع الدائرة الإنسانية الخيوط والعلائق والأسباب . .

لقد كان «الإسلام» - الدين - وكانت «الجماعة العربية الإسلامية» - كأمة - وكانت «الحضارة العربية الإسلامية» - كإبداع تزامن في صنعه : الوحي الديني وعلومه مع الموارث الفكرية والحضارية لشعوب البلاد التي دخلت عالم الإسلام - وكانت «الدولة» - كأداة للدين والحضارة - . . كان جميع ذلك ، في مسيرتنا الحضارية وتجربتنا التاريخية والاجتماعية أشبه ما يكون بالدائرة الدائمة الاتساع ، حركتها ذلك المصطفى محمد بن عبد الله ، منذ أن أتمه وحى ربه قائلاً : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق : ١ - ٥] .

● ففي «الدين» . . بدأ الرسول ﷺ فجعل «أمة الدعوة» الأقربين من قومه وعشيرته - ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٦٠٤) ﴾ [الشعراء : ٢٠٤] . ثم عمم الدعوة على نحو جعل نطاق «أمة الدعوة» كل القوم والعشيرة - وهم «الجماعة الذين تربط بعضهم ببعض روابط دم أو نسب أو اجتماع» ،^(١٦) وحدث هذه الأمة عن خصوصيتها القومية التي تميزها ، بالجد والمسئولية - معاً - في إطار هذه الدعوة العالمية ، فقال لها عن القرآن الكريم ما أوحى به الله : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

(١٦) (معجم ألفاظ القرآن الكريم) وضعه مجمع اللغة العربية - القاهرة - سنة ١٩٧٠ م .

إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿ [الزخرف : ٤٤ ، ٤٣] .. وفى ذات الوقت كان حديثه القرآنى عن عالمية الدعوة .. فهو رسول الله إلى العالمين ، ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .. وقرآنه الكريم موجه إلى العالمين ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .. ﴿ وما تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٤] .. ﴿ وما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [التكاوير : ٢٥ - ٢٧] .. وفى الحديث الشريف يتحدث الرسول ﷺ عن اختصاص رسالته بالعالمية .. فيقول : «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي : كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ . وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي . وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً ظَهْرًا وَمَسْجِدًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ . وَتُصِرْتُ بِالرَّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ . وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ .» (١٧)

فشرف العرب فى الإسلام ، الذى تمثل فى اصطفائهم -

(١٧) رواه البخارى ومسلم والترمذى والداريمى والإمام أحمد .

كجماعة - أمة - لحمل رسالته إلى العالمين .. يزامن عالمية الدعوة ، ولا يحتكرها ... إنه الاتساق مع المفهوم العربي الإسلامي المتميز لمصطلح الأمة ونطاقها الذي لا تعرف أفاقه الحدود ! ..

● وفي «الدولة» .. كانت البداية «عربية» - بالمعيار القومي العربي - ثم انداحت دائرة الدولة وبنية تكوينها لتستشرف «العالمية» ، التي صنعت ثوبها من نسج سدها «العروبة الحضارية» وخمته «الإسلام الحضارى» ! .. صانعة ذلك المزيج الحضارى الجديد والفريد ! ..

لقد تأسست دولة المدينة ، التي أقامها المسلمون الأوائل تحت قيادة النبي ، وفق معيار «العروبة الحضارية» .. ووجدنا «دستورها» - الذي اشتهر في التاريخ بـ «الصحيفة» وبـ «الكتاب» - يعدد «اللبانات» التي كونت بناء الرعاية في هذه الدولة ، فإذا هي جميعاً «قبائل عربية» .. وفي هذا «الدستور» وجدنا التمييز بين «أمة الدين» و «أمة السياسة» ، كما وجدنا الربط بينهما .. فالوحدة قائمة على التمايز .. القبائل تتوحد في الأمة .. والعرب المؤمنون - من المهاجرين والأنصار - هم «أمة الدين» .. وهم مع القطاعات العربية المتهودة من قبائل المدينة يكونون «أمة واحدة» .. أمة السياسة والقومية .. فالمسلمون «نواة» منها تبدأ دائرة الدولة ؛ لتنداح شاملة العرب المشهودين ، استشرافاً لدائرة أوسع .. دائرة الشعوب الأخرى والقوميات الأخرى .. وعن هذه الحقيقة حول مفهوم الأمة في الدولة العربية الإسلامية الأولى يقول «دستور»

دولة المدينة : « هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش و (أهل) يثرب . ومن تبعهم فلحق وجاهد معهم . أنهم أمة واحدة من دون الناس . وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم . . . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . . . وأن لليهود بنى النجار . . . وبنى الحارث . . . وبنى ساعدة . . . وبنى جشم . . . وبنى الأوس . . . وبنى ثعلبة . . . وبنى الشُعْبَةَ مثل ما لليهود بني عوف . . . وجفنة بطن من ثعلبة كأَنفسهم . . . وموالى ثعلبة كأَنفسهم . . . وأن بطانة يهود كأَنفسهم . . . وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . . . وأن بينهم النصر على من دهم يثرب . وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين . على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . وأن يهود الأوس مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر اغض من أهل هذه الصحيفة^(١٨) . . . »

فبعد أن عدد الدستور - وهو يحصر لبنات الأمة والرعية السياسية للدولة - القبائل العربية التي أمنت وأسلمت - من

(١٨) (مجموعة الوثائق السياسية - للعهد النبوي والخلافة الراشدة) من ١٥ - ٢١ -

جمع وتحقيق د . محمد حميد الله - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م

المهاجرين والأنصار - ومن حُق بهم وجاهد معهم . . ذكر أنهم أمة الدين - «أمة واحدة من دون الناس» - بعد ذلك شرع فعند القطاعات المتهودة من قبائل المدينة العربية . . أى اليهود العرب - الأميون - لا العبرانيون - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] . . وجعل لهؤلاء العرب المتهودين - مع بطانتهم ومواليهم - كامل حقوق وواجبات المواطنة فى دولة المدينة ، مقررًا أنهم «أمة مع المؤمنين» . . فالأمة هنا - الجماعة - ومنذ هذا التاريخ المبكر لم تقف عند «أمة الدين» ، وإنما تجاوزتها دون أن تسقطها . . لقد انداحت الدائرة ، دون أن تهمل المركز أو تتخلى عنه بأى حال من الأحوال . . فالمنطلق قائم وفاعل وقائد ، والاستشراف للأفاق الأوسع والأبعد دائم ؛ لأنها أمة الاستيعاب والإضافة ، وليست أمة الانسلاخ والحدود والتعصب والعدوان على الأغيار . .

ولقد فهم البعض - بالخطأ أو بسوء القصد - أن ما حدث من صراع بين دولة المدينة وبين اليهود العبرانيين ، سكان الواحات الزراعية من حولها ، والذي انتهى بإجلائهم عن مواقعهم ، فهم البعض أن هذا الحدث قد مثل تراجعًا إسلاميًا عن هذا المفهوم المرن للأمة . إذ عادت أمة للدين فقط ، ووقفت حدودها عند المؤمنين والمسلمين دون سواهم . . فقالوا : « . . إن الصبغة السياسية الغالبة فى هذه الأمة الجديدة إنما كانت مؤقتة ، فلم يكذ محمد يحس أن مركزه قد توطد فى المدينة ، ويرى انتصاره فى حروبه مع كفار مكة ، حتى استطاع أن يخرج من جماعته

السياسية الدينية ، أهل المدينة (خصوصاً اليهود) الذين لم يعتنقوا الدين الذي جاء به ، وعمور الزمن صارت أمته تتألف من المسلمين وحدهم ، وصار يعتبر المسلمين أمة ، ويؤكد صفاتهم الخلقية والدينية ، ويعتبرهم غير أهل الكتاب الذين كان محالاً لهم ...»^(١٩)

وممكن الخطأ في هذا الفهم هو الخلط بين «اليهود العرب» الذين عدّد دستور المدينة قبائلهم ، وكلها قبائل عربية صريحة النسب العربي^(٢٠) ، وبين القبائل اليهودية العبرانية ، والتي لم يأت لها ذكر في هذا الدستور ... فالأولون كانوا عرباً ، كوّنوا مع العرب المؤمنين دولة عربية قومية ، أمتها - جماعتها - عربية متعددة الأديان ... والآخرين - من أمثال بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة - ولم يرد لهم ذكر في هذا الدستور - كانوا عبرانيين ، قام بينهم وبين دولة المدينة حلف - يختلف عن علاقة المواطنة - فلما نقضوه قاتلهم النبي ، وانتهى الصراع معهم بالإجلاء ... أما القطاعات العربية المتهودة ، التي كونت جزءاً أصيلاً من «أمة السياسة» ، فلقد اعتنقوا الإسلام ، ودخلوا من ثم في أمة الدين والسياسة معاً ..

ثم إن معيار «العروبة» الذي حكم إطار الأمة ومفهومها ، كان هو الآخر معياراً مرناً ، ومستقبلياً ، وسبيلاً إلى التوسع في الإطار والاستيعاب لأقوام آخرين ... فقبل الاسلام كانت المعايير العرقية والقبلية هي السائدة في تحديد أفق العروبة ومفهومها ... فجاء

(١٩) (دائرة المعارف الإسلامية) - مادة «أمة» - تحرير: ر. باريه R. Parei .

(٢٠) (معجم القبائل العربية القديمة والحديثة) لعمر كحالة . طبعة دمشق سنة ١٩٦٨ م

الإسلام ليرفضها .. وعنها قال الرسول ﷺ : «دعوها فإنها مُنْتَنَةٌ ..»^(٢١) .. ومضى يعلم أصحابه أن حب الإنسان لقومه مطلوب ، لكن العصبية القاتلة هي المرفوضة .. وعندما سأله الصحابي واثلة بن الأسقع :

« - يا رسول الله ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟

(أجابه) - :

- لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم »^(٢٢)

وبدلاً من هذه العصبية الجاهلية ، وبدلاً عن الإطار العرقي والقبلي للعروبة الجاهلية ، أرسى الإسلام للعروبة مفهوماً حضارياً ، وحدد لأمته معياراً ثقافياً .. فخطب النبي في الناس ، عندما بلغه أن منهم من ينكر على الذين لم ينحدروا من أصلاب عربية - مثل بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي - رغم بلوغهم في الاستعراب درجة الفقه للقرآن المعجز والوعي بأسراره البلاغية ، ورغم أنهم قد محضوا ولاءهم للعروبة ، وأخلصوا انتماءهم لجمعتها الاسلامي - عندما أنكر البعض عروبة الذين استعربوا حضارياً .. غضب الرسول ، وخطب الناس فقال : «أيها الناس .. ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي ..»^(٢٣) .. فمنذ ذلك التاريخ ، ووفقاً لهذا المعيار الحضاري والثقافي «للعروبة» اتسعت

(٢١) رواد البخاري والترمذي .

(٢٢) رواه ابن ماجة والإمام أحمد .

(٢٣) (تهذيب تاريخ ابن عسك) ج ٢ من ١٩٨ . طبعة دمشق .

دائرة الأمة العربية والجماعة العربية ، لتضم - وعلى قدم المساواة - كل الذين تعربوا بالفكر والحضارة والانتماء والولاء ، مع الذين انحدروا من أصلا ب عربية صريحة . . فكما انفتح معيار الأمة ومفهومها ليضم العرب من غير المسلمين ، انفتح - كذلك - ليضم عرب الحضارة والثقافة ، من ذوى الأصول العرقية غير العربية . .

واعمالاً لهذا المعيار الحضارى الذى يفتح أبواب الأمة ويوسع دائرة الجماعة ، نهضت الدولة بتنظيم اجتماعى دمجت به الموالى - ارقاء الأمس الذين حررهم الإسلام - فى القبائل التى كانوا فيها أرقاء . . فالقبيلة كانت - كالأسرة - اللبنة الأولى فى كيان الأمة . . فبعد أن كانت حدودها مقصورة على صرحاء النسب العربى ، غدت تضم الموالى أيضاً . . أى أن دائرة القبيلة ومعيارها لم يعد ، هو الآخر ، عرقياً بحتاً . . ولهذا التنظيم الاجتماعى الجديد سن الرسول القوانين ، فى صورة أحاديث من مثل : «مولى القوم منهم»^(٢٤) و «الولاء لخدمة كل خدمة النسب»^(٢٥) فلم تعد أرحام الولادة النسبية هى أرحام الجنس والعرق وحدها ، وإنما غدت العروبة الحضارية رحماً تولد منه الأمة والجماعة وفقاً لهذا المعيار الحضارى الجديد . .

وبعد عصر الرسول . . انتقلت الدولة بإطار الأمة ومفهومها - وفقاً لمتطلباته الإسلامى - إلى أفق جديد . . فالمد الذى بدأ من قريش ، فألف بين القبائل ، على اختلاف دينها . ودمج فيها كل

(٢٤) رواه البخارى .

(٢٥) رواه أبو داود والدارمى .

من استعرب ، على اختلاف أصولهم العرقية . . هذا المد قد امتد بالفتوحات إلى ما هو أبعد من القبائل : عندما ضمت الدولة «الشعوب» من أهل العراق وفارس والشام ومصر وغيرها من البلاد . . فبدأت مرحلة جديدة ونطاق جديد في مفهوم الأمة ، اتخذت الدولة له المعيار القرآني - معيار «التعارف» - الذي يعنى التفاعل القائم في إطار الوحدة ، التي لا تنكر ولا تتجاهل التمايزات . .

وعندما نجم قرن الشعوبية ، التي تُحقّر كل ما هو عربي ، لتصل بالعداء الظاهر للعروبة إلى هدف مستور هو الكيد للإسلام . . . وعندما استنفرت الشعوبية واستنفرت العصبية القبلية العربية ، على عهد الدولة الأموية . . وجدنا عقلاء الأمة ومفكراتها ينهضون لإحياء النهج الإسلامي التآلفي ، فيكتبون - بل ويفردون المؤلفات - لتذكير الناس بالمعيار الحضاري لمفهوم الأمة ، والأفق الفكري والثقافي غير المحدد لإطار الجماعة . . . وكان الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (١٦٣ - ٢٥٥ هـ - ٧٨٠ - ٨٦٩ م) في مقدمة الذين أبدعوا في هذا الميدان ، فوجدناه يفرد لهذا الغرض بعض كتبه . وفي مقدمة أحدها يعلن عن هذه المهمة فيقول : « . . . وكتابنا هذا إنما تكلّفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة ، ولنزيد الألفة إن كانت مؤتلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ، ولتسلم صدورهم ، وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب ، وكم مقدار الخلاف في الحسب ، فلا يغيّر بعضهم مغير ، ولا يفسده عدو بأباطيل موهبة ، وشبهات مزورة . فإن المنافق

العظيم ، والعندو ذا الكيد العظيم ، قد يصور لهم الباطل فى صورة الحق ، ويلبس الإضاعة فى ثياب الحزم (٢٦) ! . . .

ثم يمضى الجاحظ فيذكر أطراف النزاع بالمعيار الحضارى للعروبة والمفهوم المفتوح وغير العرقى أو المغلق للأمة والجماعة ، وكيف أن اختلاف النسب بين القحطانيين والعدنانيين لم يحل دون اندماجهم فى الأمة كل الاندماج عندما وحدتهم الحضارة والثقافة واللغة والشمائل ، على حين أن وحدة النسب بين العدنانيين - أبناء اسماعيل - وبين العبرانيين - أبناء أخيه إسحاق - لم تجعلهما أمة واحدة ، لاختلاف الفكر والثقافة واللغة والشمائل . . . فى الفكر الإسلامى العالمى ، المفتوح لاستيعاب الموروث القديم والإبداع الجديد ، تتمثل رحم جديدة ستظل دائمة الولادة لأفاق جديدة تتسع بها دائرة الأمة ويرحب بها مفهومها كلما امتدت بأهلها البصائر والأبصار إلى الجديد من الآفاق . . . يمضى الجاحظ ليتحدث عن هذه الحقائق فى مفهوم الأمة ، فيقول : «إن العرب قد جعلت اسماعيل - وهو ابن أعجميين - (إبراهيم وهاجر) - عربياً ؛ لأن الله فتح لهاته^(٢٧) بالعربية الميمنة ، ثم فطره على الفصاحة ، وسلخ طباعه من طباع العجم وسواء تلك التسوية ، وصاغه تلك الصياغة ، ثم حياه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم ، وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهمهم على أكرمها فكان أحق بذلك النسب ، وأولى بشرف ذلك

(٢٦) (رسائل الجاحظ) ج ١ ص ٢٩ - تحقيق / الأستاذ عبد السلام هارون . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

(٢٧) (الذهبية - جزء من أقصى سقفا الفهم ، مشرف على الخلق

الحسب . . . وإن العرب لما كانت واحدة، فاستووا في التربية، وفي اللغة، والشمال، والهمة، وفي الأنف والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسُبكوا سبكاً واحداً، وكان القلب واحداً، تشابهت الأجزاء وتناست الأخلاق. وحين صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم الأخص . وفي باب الوفاق والمباينة من بعض ذوي الأرحام ، جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب ، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى ، حتى تناكحوا عليها وتظاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى إسحاق ، وهو أخو إسماعيل ، وجادوا بذلك ، في جميع الدهر ، لبنى قحطان . . إن هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة . . ! (٢٨)

هكذا رحب مفهوم الأمة واتسع أفق معيارها ، وانفتح باب استيعابها للقديم والجديد ، فانداحت دائرتها في «الدين» وفي «الدولة» ، مؤكدة - دائماً وأبداً - أهليتها لتكون «الأمة الأمية» ، التي تستوعب الموارث الحضارية القديمة ، بالإحياء والتجديد والتمثيل ، لتهيمن عليها بتحويلها إلى غذاء ومصدر قوة لهويتها المتميزة ، ولتحتضن الجماعات التي تدخل إلى دائرة الإسلام - الدين أو الحضارة - فتمد بهذا الاحتضان دائرة الأمة ومفهومها كلما تيسر هذا الاحتضان والاستيعاب . .



(٢٨) (رسائل الجاحظ) ج ١ ص ٢٩ - ٣١ - ١١ - ١٤ .

مفهوم الأمة في حضارة الإسلام

بعد نحو قرنين من الزمان الذي أعقب ظهور الإسلام ، تبلورت على أرض دولته وأمنته : معالم هذا الطور العربي الإسلامي من أطوار الحضارة العريقة الممتدة لشعوب هذه الأمة ، والضاربة بجذورها في أعماق أعماق التاريخ القديم . . .

فالتدين الجدي قد أعلن أن الإيمان به إنما هو : تصديق بالقلب يصل إلى درجة اليقين . . . ومن ثم فإن تحصيله وامتلاكه لا يمكن أن يتأتى بالقهر أو الإكراه : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [البقرة: ٢٥٦] . . . وعن العلاقة بينه وبين أهم الرسالات السماوية السابقة ، أعلن الإيمان « بالتعددية » في إطار « الوحدة » . . . فدين الله واحد ، أزلاً وأبداً . . . ومحمد ﴿ رسول من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة: ١٢٩] من عقائد الدين ومقاصده . . . والقرآن ﴿ كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة: ٨٥] . . . والله - سبحانه - في العقائد ، قد ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى: ١٣] . . . ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠] .
ولقد مدَّ هذا الإعلان عن «وحدة الدين» خيوط وأسباب «التعددية» ، التي تنحو نحو استيعاب ما يمكن استيعابه من الموارث الدينية لأمم الرسل السابقين . . . وزاد من متانة هذه الخيوط والأسباب ما أعلنه الإسلام من «تعدد الشرائع الدينية» أولاً وأبداً . . . فإرادة الله هي في تعددية الشرائع والمناهج والسبل في إطار «وحدة الدين» ، الأمر الذي ميز الإسلام فجعله يتقبل التعايش مع أهل الشرائع السماوية الأخرى - الكتابية ، كاليهود والنصارى - ومن لهم شبهة كتاب كالحوس . . . ثم قيست عليهم ديانات وضعية كديانات الهند والشرق الأقصى ، تعبيراً عن المفهوم المرن والمفتوح للجماعة والأمة المؤمنة - غير المشتركة والجاهدة - وتجسداً لهذا المفهوم الذي أرساه الإسلام منذ ظهوره . وخوَّز الفقهاء تطبيقاته وفق ظروف الزمان والمكان . . .

لقد كانت المرة الأولى التي يأتي فيها دين يعلن رسوله وكتابه «التعددية» في الشرائع : ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا... ووقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور... وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه...﴾ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴿المائدة: ٤٤ - ٤٨﴾ .

وعندما وقف مفسرو القرآن أمام هذه الحقيقة ، قالوا - معبرين عن هذا الباب من أبواب «التعددية» و «التنوع» في إطار «الوحدة» . . قالوا : «إن الشريعة والشريعة هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة . . . ومعنى الآية أن الله قد جعل التوراة لأهلها . والإنجيل لأهله ، والقرآن لأهله ، وهذا في الشرائع والعبادات . والأصل : التوحيد ، لا اختلاف فيه » ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة» أي لجعل شريعتكم واحدة . . .^{١٢٩} . فكانت المرة الأولى التي تأتي فيها شريعة سماوية لا تحتكر لأهلها طرق النجاة ؛ وإنما تقر بتعدد السبل والمناهج والطرق - «الشرائع» - في إطار وحدة الدين . فتقيم بهذه «التعددية» أسباب الغنى والثراء في ميدان الحضارة والثقافة ، موسعة بذلك مفهوم الأمة الحضارية ونطاقها . . بل لقد وجدنا أئمة تفسير القرآن الكريم يرون في هذه التعددية : «الحكمة» الإلهية «والمشيئة» الربانية من وراء خلقه للناس . . ففي تفسير قوله الله سبحانه : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩] . . يقول سعيد بن جبير (٤٥ - ٩٥هـ ٦٦٥ - ٧١٤م) : إن المراد بالأمة الواحدة «ملة الإسلام وحدها» ، أي شريعة الإسلام وحدها . . أما مجاهد بن جبر المكي (٢١ - ١٠٤هـ ٦٤٢ - ٧٢٢م) وقتادة بن دعامة السدوسي (٦١ - ١١٨هـ ٦٨٠ - ٧٣٦م) فإنهما يفسران «ولا يزالون مختلفين»

(٢٩) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٦ ص ٢١١ . طبعة دار الكتب المصرية القاهرة .

باحتتمية بقاء الناس «على أديان - أى شرائع - شتى» . . أما الحسن البصرى (٢١ - ١١٠ هـ ٦٤٢ - ٧٢٨ م) ومقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ ٧٦١ م) وعطاء بن دينار (١٢٦ هـ ٧٤٤ م) فإنهم يفسرون قوله سبحانه : «ولذلك خلقهم» بأن «الإشارة للاختلاف ، أى للاختلاف خلقهم»^(٣١) . .

فإذا ما جاء علماء الأصول ، وجدناهم يتحدثون عن شرائع الأمم السابقة بلسان السرخى (٤٨٣ هـ ١٠٩٠ م) فى كتابه (أصول الفقه) فيقول : «وأصح الأقاويل عندنا أن شريعة من قبلنا هى شريعة لنبيينا عليه السلام ، ما لم يظهر ناسخه . .»^(٣٢)

ولقد كان لهذا النهج الذى نهجه الإسلام فى الاعتراف بالتعددية فى الشرائع ، والتعايش معها ، واعتماد ما لم ينسخ منها ، ليستوعبه ويمثله فى نسيجه الحضارى ، موسعاً بذلك مفهوم الحضارة العربية الإسلامية ونطاقها . . كانت لهذا النهج آثاره العظمى فى دفع غير المسلمين إلى الإسهام فى البناء الحضارى تحت رايات العروبة ودولتها والإسلام وحضارته . . فكما أحيى الإسلام الموارث الحضارية لشعوب البلاد التى دخلت عالم الإسلام بعد مواتها ، كذلك وجدناه قد استنفر أبناء الشرائع غير الإسلامية للإبداع فى بناء الحضارة العربية الإسلامية ، بعد أن كانت كنائسهم وأحبارهم قد فرضوا عليهم ما فرضوه على موارثهم الحضارية من موات ! . . فالدين الذى قرر لهم التعددية

(٣١) المصدر السابق . ج ٩ ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣٢) ج ٣ ص ١٠١ ، ١٠٢ . انظر د . رضوان السيد (الأمة والجماعة والملافة) طبعة

بيروت سنة ١٩٨٤ م .

فى الشرائع ، هو الذى قررت دولته أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما
 عليهم . فنهضوا - مدعوين من الدين والدولة - للإبداع ، مع
 العلماء المسلمين : فى بناء هذا الطور العربى الإسلامى الحضارة
 الأمة التى كانت أمّا قبل دخول شعوبها فى عالم الإسلام
 وإذا كان العلماء المسلمون قد نهضوا بالعبء الأكبر فى هذا البناء ،
 فإن نظرة على بعض أسماء أعلام هذا البناء الحضارى ، من غير
 المسلمين ، كافية للدلالة على أثرهم البين ومكانتهم الملحوظ فى
 هذا البناء . . فعلى امتداد تاريخنا الحضارى نستطيع أن نتابع آثار
 أعلام من مثل : الفيلسوف السريانى أثنا سيوس البلدى (٦٦هـ
 ٦٨٦م) ، والشاعر النصرانى الأخطل (١٩ - ٩٠هـ ٦٤٠ -
 ٧٠٨م) ، والشاعر الموسيقى حنين بن بلوع (نحو ١١٠هـ ٧٢٨م) .
 والطبيب المترجم جورجس بن جبرئيل (بعد ١٥٢هـ ٧٦٩م) ،
 والمنجم النصرانى ثيوفيل بن توما الرهاوى (١٧٤هـ ٧٨٥م) ،
 والطبيب بختيشوع الكبير بن جورجس بن جبرئيل (نحو ١٨٤هـ
 ٨٠٠م) ، وعالم الفلك والنجوم أبو سهل الفضل بن تويخت (كان
 حياً قبل ١٩٣هـ ٨٠٩م) ، وعالم الطب والمنطق جبريل بن بختيشوع
 بن جورجس (٢١٣هـ ٨٢٨م) ، والطبيب المؤلف سهل بن سابور
 (٢١٨هـ ٨٣٣م) ، والعالم الطبيب أبو زكريا يوحنا بن ماسويه
 (٢٤٣هـ ٨٥٧م) ، والطبيب المؤلف سابور بن سهل (٢٥٥هـ
 ٨٦٩م) ، والطبيب والمترجم والشاعر والمؤرخ أبو زيد حنين بن
 إسحاق العبادى (١٩٤ - ٢٦٠هـ ٨١٠ - ٨٣٣م) ، والوزير صاعد
 ابن مخلد (٢٧٦هـ ٨٨٠م) ، والطبيب الحاسب الفيلسوف أبو الحسين
 ثابت بن قرة بن زهرون (٢٢١ - ٢٨٨هـ ٨٣٦ - ٩٠١م) .

والطبيب المترجم يوحنا - «يحيى» - بن بختيشوع (نحو ٢٩٠ هـ ٩٣٠ م)، والفيلسوف المؤلف والمترجم والرياضي قسطا بن لوقا البعلبكي (نحو ٣٠٠ هـ ٩١٢ م)، والطبيب المؤرخ سعيد بن البطريق (٢٦٣ - ٣٢٨ هـ ٨٧٧ - ٩٤٠ م)، والطبيب بختيشوع بن يوحنا بختيشوع (٣٢٩ هـ ٩٤١ م)، والمترجم الرياضي يوحنا بن يوسف بن الحارث بن البطريق (القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي)، وعالم المنطق والمترجم متى بن يونس (٣٢٨ هـ ٩٤٠ م)، والطبيب العالم أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني (٣٣١ هـ ٩٤٣ م) والطبيب المؤرخ أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني (٣٦٥ هـ ٩٧٦ م)، والطبيب العالم جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع (٣١١ - ٣٩٦ هـ ٩٢٣ - ١٠٠٦ م)، والطبيب جورجس ابن يوحنا بن سهل بن إبراهيم البيرودي (٤٢٧ هـ ١٠٣٥ م)، والطبيب الفيلسوف العالم أبو الفرج عبد الله بن الطيب (٤٣٤ هـ ١٠٤٣ م)، والعالم والفيلسوف والمترجم ابن زرعة، عيسى بن إسحاق بن زرعة بن مرقس (٣٧١ - ٤٤٨ هـ ٩٨٢ - ١٠٥٦ م)، والفيلسوف أبو عمران موسى بن ميمون (٥٢٩ - ٦٠١ هـ ١١٣٥ - ١٢٠٤ م)، والطبيب أبو الفرج صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما (٦٢٠ هـ ١٢٢٣ م)، والكاتب الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الأشبيلي (٦٠٥ - ٦٤٩ هـ ١٢٠٨ - ١٢٥١ م)، والأديب والفنان والسياسي يعقوب بن رفائيل صنوع (١٢٥٥ - ١٣٣٠ هـ ١٨٣٩ - ١٩١٢ م)، والموسيقي داود حسني (١٢٨٧ - ١٣٥٦ هـ ١٨٧١ - ١٩٣٧ م) والسياسي الوطني ونعيم مكرم عبيد (١٣٠٧ - ١٣٨٠ هـ

١٨٨٩ - ١٩٦١م)^(٣٢) في هؤلاء الأعلام - وأمثالهم كثيرون - قام البرهان على أنفتاح حضارتنا العربية الإسلامية على مختلف الموارث الفكرية ، واستيعابها وتثقلها ، ثم تجاوزها كل هذه الموارث .. فكما أخذت - منذ عصر الراشد الثاني عمر بن الخطاب (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤م) - تدوين الدواوين عن الروم ..^(٣٣) وضريبة الأرض - وفق المساحة - التي عرفت «بوضائع كسرى» - عن الفرس^(٣٤) .. رأيناها قد تجاوزت ، فيما أبدعت في الفكر السياسي - حول الإمامة والخلافة والأحكام السلطانية - حدود الاقتباس إلى نطاق الخلق المتميز والجديد ، فكان نظام «الخلافة» عربياً إسلامياً غير مسبوق ..

وإذا كانت ترجماتها قد بدأت بعلوم الصنعة ، على يد خالد بن يزيد (٩٠ هـ ٧٠٨م) الذي مثل الأثر العربي الإسلامي لمدرسة الإسكندرية القديمة ، فإن إبداع هذه الحضارة في العلوم الطبيعية وتطبيقاتها قد كان منارة العالم في هذا الميدان ، أضافت إليه تجاوزها القياس الأرسطي إلى المنهج التجريبي الذي كان لها إبداعاً خالصاً ، نقلت به العلم إلى طور جديد ، كما وكيفاً ..

(٣٢) الزركلي (الأعلام) طبعة بيروت سنة ١٩٦٩م . و (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك) لبقدرى حافظ طوفان . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م . و (الدعوة إلى الإسلام) لأرنولد ، ترجمة : د . حسن إبراهيم حسن . د . عبد المجيد عابدين . إسماعيل النجراوى . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م . و (الأقباط في السياسة المصرية - مكرم عبده ودوره في الحركة الوطنية) للدكتور مصطفى الفقى . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م .

(٣٣) ابن سعد (الطبقات الكبرى) ج ٣ ق ١ ص ٢٠٢ طبعة دار التحوير القاهرة . و (كتاب الخراج) لأبى يوسف . تحقيق : د . إحسان عباس . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م .

(٣٤) الماوردى (الأحكام السلطانية) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م

وإذا كانت قد ترجمت الفلسفة اليونانية ، فإنها قد قرأتها بعيون إسلامية ، ووعتها بعقول صاغها التوحيد ، فكان إبداعها الفلسفي هو علم الكلام الإسلامي ، الذي تأسست عقلانيته على الوحي ، فتأخدت فيه الحكمة والشرعية على نحو فريد ..

وكذلك صنعت هذه الأمة وحضارتها مع تراث الفرس والهنود .. أحييت الموات .. وجددت البالي ، واستوعبت الحى فتمثلته ، ثم تجاوزته .. بمنطق الأمة الوارثة ، والجماعة العالمية . أمة وجماعة الرسالة الخاتمة والخالدة ، والتي لا بد - لذلك - من أن يكون القانون الحاكم لمسيرتها والضامن لها أداء رسالتها هو التفتح - من موقع الراشد المتسيز - على الآخرين ..



وبعد :

فهل كانت هناك حكمة - ذات دلالة - وراء مجيء مصطلح «الأمة» القرآني بمعنى «الجماعة» : دون تحديد صارم لسمات الجماعة ؟ .. وذلك لتتدرج وتتسع دوائرها في مختلف الميادين والمجالات ، ولتتوالى أفاقها دائماً وأبداً .. فتتضم «القبائل» - كلبشات - فلا تتجاهل تمايزها ، وفي ذات الوقت لا تقف عند حدود هذا التمايز ... ثم تتضم «الشعوب» مع «القبائل» ، جاعلة «التعارف» هو رباط الجماعة ، لا القالب الواحد الحاكم ذا الشروط الصارمة الجامعة المانعة .. ثم تضي فيحتضن محيطها الإسلامي الحضاري الجزر القومية ، دون أن تنفر الأمة الإسلامية من تمايز الأمم القومية في أحضان المحيط الإسلامي الكبير .. فتصبح

القومية دائرة انتماء ، لا فكرية تناقض الإسلام ، ولا عصبية تتجاهل أو تعادى جامعتها الأشمل . . . ثم تذهب هذه الجماعة قُدماً لتُمد مع الدائرة الإنسانية الخيوط والعلائق والأسباب ٩٢ . .

هل كانت هناك حكمة - ذات دلالة - من وراء ذلك ٩٣ . .

وهل كانت لهذه المرونة في مضمون هذا المصطلح صلة بموقف النهج العربي الإسلامي ومسيرته في بلورة حضارة الأمة ، بدءاً من :

● نواة الدين . . . وأمة الدين . .

● فالقومية . . والأمة القومية - بالمعنى الحضارى ، لا العرقى . .

● فالحضارة . . وأمة الحضارة - التى تحتضن القوميات . .

والننى لم تقف بالسمات الحضارية عند ما هو دبنى . . كما أنها لم تتجاوزه . . وإنما جعلت منه النواة التى انداحت من حولها الدائرة القومية والحضارية . . واتخذت منه الأداة التى بعثت وأحييت وجددت الموارث الفكرية والحضارية لشعوب البلاد التى دخلها الإسلام ، ودخلت فى عالم الإسلام . . كما أقامت منه المعيار الذى فوزت به ما هو مقبول . . أو فى حاجة إلى التعديل . . أو واجب الرفض من هذه الموارث .

● فلم تقف بالأمة عند أمة الدين . .

● ولم تقف بعنصر الأمة وجنسها عند العرب - بالمعنى العرقى - . .

● ولم تقف بفكرية الأمة وعلوم حضارتها عند علوم النوحى والشرعية ، وإنما تجاوزتها - وهى مصاحبة لها - إلى علوم

الحضارة وفنونها ، التي أبدعت فيها إبداعاً غنياً وعميقاً وراقياً ، مع تميزها بإشاعة الروح الإيماني والمزاج العربي في مختلف وأدق أجزائها . .

لقد انطلقت الأمة - الجماعة - من «الدين» إلى «الحضارة» . التي تبلورت ونمت حول هذا الدين . . وأقامت العلاقة العضوية والجدلية بين العروبة - الحضارية والثقافية - وبين الإسلام العالمي . . فجعلت «الفرد» . . «الأسرة» - أو «القبيلة» - . . «الشعب» . . «الأمة القومية» . . «الأمة الحضارية» . . دوائر . تنفتح الصغرى منها على الكبرى التي تليها ، في علاقة جدلية وتضامنية لا تعرف التناقض ولا التضاد . . كما جعلت «الإقليم» . . «الوطن الأدنى» . . «الوطن القومي» . . «عالم الملة» والجامعة الإسلامية ، دوائر ، تبدأ من الأخص إلى الخاص إلى العام فالأعم . . لينتضي كل ذلك إلى الدائرة الإنسانية ، شعوباً وحضارات . .

● إنها أمة الإسلام . . وإسلامها وثيق الصلة بالعروبة الحضارية والثقافية . . عقيدته عالمية . . ومعجزته عربية ، وشريعته عربية ، ولن يفقههما ويبلغ مرتبة الاجتهاد والتشريع فيهما إلا من بلغ في فقه العربية وعلومها مبلغ البلغاء وهي أمة العروبة الحضارية - لا العرقية - التي هي ثمرة من ثمار الإسلام . . .

● وهي دائمة الحركة والنمو والتفتح - رأسياً وأفقياً - ومهام

تَحَقُّقُهَا - عمقًا واتساعًا - لا تعرف النهايات ولا الحدود
ولا السدود ..

● والعلاقة بين هذه الأمة - بالمعنى الدينى وفى النطاق
الدينى - كما كانت فى بداية طورها الإسلامى - وبين
هذه الأمة عندما تحققت فى الواقع ، بالمعنى التاريخى
والاجتماعى والقومى - بعد الهجرة - ليست علاقة
انفصال ، بل ولا تتابع فى المراحل التى تتجاوز ثانیتها
أولها تجاوز المغایرة والاختلاف والانقطاع .. وإنما هى
علاقة «الوحدة» التى لا تنكر «التمایز» ، فى الإطار
الحضارى المرن الذى يسمح للتعددية بالتعايش والتفاعل
داخل الإطار ..

ذلك هى تعريف الأمة فى حضارتنا العربية الإسلامية ، وهذا
هو مفهومها ... وتلك هى دلالة المرونة التى تميز بها هذا المفهوم ..
ومصادق هذه الحقيقة تلك المسيرة العملية التى سلكتها أمتنا
وحضارتنا منذ أن بدأت طورها العربى الإسلامى بظهور الإسلام ..
لقد استوعبت الموارث الحضارية التى سبقت الإسلام ، ثم أحبتها
وجددتها وفق معايير التوحيد الإسلامى .. وصنعت من التعددية
كلًا حضاريًا جديدًا ... وهى فى كل ذلك قد انطلقت من
«العقيدة» - عقيدة الدين - إلى «الفكر» - فكر الحضارة - إلى
«السلوك» ، الذى حوّل «العقيدة» و«الفكر» إلى حياة عاشتها
وتعيشها هذه الأمة فى حقب الازدهار ، وتجاهد كى تحييها كلما
فرضت عليها التحديات قيود الضعف والتراجع والجمود !



صدر من سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

- ١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .
- ٢ - الغرب والإسلام .
- ٣ - أبو حيان التوحيدى .
- ٤ - دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى .
- ٥ - ابن رشد بين الغرب والإسلام .
- ٦ - الانتماء الثقافى
- ٧ - تنصير العالم .
- ٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .
- ٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .
- ١٠ - د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية . والمشروع الفكرى
- ١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .
- ١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .
- ١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .
- ١٤ - المنهاج العقلى .
- ١٥ - النموذج الثقافى .
- ١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .
- ١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين
- ١٨ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة .
- ١٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
- ٢٠ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى
- ٢١ - فكر حركة الأستنارة . وتناقضاته .
- ٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جارودى .
- ٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
- ٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ أم صراع .
- ٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب؟ أم بالإسلام؟؟
- ٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .
- ٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية
- ٢٨ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة . . أم تفتيت وأختراق .
- ٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .
- ٣٠ - نفقة المرأة وقضية المساواة .
- ٣١ - الدين والثراث والحداثة والتنمية والحرية
- ٣٢ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية
- ٣٣ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟؟
- ٣٤ - صورة العرب فى أمريكا .
- ٣٥ - هل المسلمون أمه واحده؟؟
- ٣٦ - السنة والبدعة .
- ٣٧ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .
- ٣٨ - قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى .

الفهرس

٣ مفهوم الأمة فى لغتنا القومية
٧ مفهوم الأمة فى أصول العربية
١٢ مفهوم الأمة فى دولة الإسلام
٢٨ مفهوم الأمة فى حضارة الإسلام

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى ● د . محمد سليم العوا
- ا . فهمى هويدى ● د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيرى ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر